دكتور إبراهيم الميمان

ذكرى عزيزة لبيعة الحب والوفاء

الحمد لله حمد الشاكرين، ونسأله أن يحفظ علينا نعمة الأمن والدين، ويمن علينا بدوام الولاية الراشدة المتمسكة بحبل الله المتين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فإن اللسان ليعجز عن وصف لحظات البهجة والسرور، والغبطة والحبور، والسعادة الغامرة التي تتكرر علينا كل عام في السادس والعشرين من شهر جمادى الأولى، إذ في هذا التأريخ قبل ستة أعوام، وتحديدًا في عام ١٤٢٦هـ قضى الله ولا راد لقضائه أن يختار لجواره الملك الراحل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله، ويخلفه في قيادة بلد النماء والعطاء، والحب والوفاء ولي عهده الأمين، وعضده المكين، خادم الحرمين الشريفين الملك/ عبد الله بن عبد العزيز -أيده الله- فتجتمع القلوب على تسليم القياد له، وتبايعه بيعة شرعية، تؤكد على تمسك هذه البلاد بحكم الله وشرعته في اختيار الحاكم، حيث إن البيعة هي الميثاق والعهد الذي يدين به المسلمون لولي أمرهم بالولاء والسمع والطاعة والنصح، وبذل حقوق الإمامة، ومنذ ذلك التأريخ انطلق خادم الحرمين الشريفين بما حباه الله جل وعلا من خلال وخصال القائد الفذ الذي يسجل له التأريخ بأحرف من نور، وتحفظ له السجلات الخالدة أعمالاً جليلة، ومكتسبات فريدة، ولجت بها مملكة الحب والإنسانية عالم الريادة، وتتحقق في عهد المليك المفدى منجزات نوعية، لا في المجال الوطني وعلى الصعيد الداخلي فحسب،بل حتى على المستوى الدولي والعالمي، حتى اختير -وهو جدير بهذا الاختيار- ضمن أعظم الشخصيات تأثيرًا في الواقع الدولي.

إن هذه المناسبة الغالية، والذكرى المتجددة تحمل معاني عظيمة، ودلالات أكيدة، أولها وأهمها: المعاني الشرعية التي بنى فيها المواطنون علاقتهم بولاة أمرهم وقادتهم على الأصول الشرعية، فهذه العلاقة ليست علاقة شعب بحكامه فحسب، وليست علاقة تحكمها المصالح، بل منطلقها التعبد لله بهذه البيعة التي كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يبذلونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده، يدينون بها لله، ويتعبدون بمقتضياتها التي وردت في مثل حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم على السمع و الطاعة في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وعلى أثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله» أخرجه البخاري ومسلم، كيف لا وهي دولة التوحيد والعقيدة والشريعة، ينص فيها نظام الحكم على اعتماد الكتاب والسنة أساسًا، واعتمادهما في جميع نواحي الحياة ونظم البلاد منهجًا، ولهذا تحققت بهذه الأصول على أيدي هذه الأسرة الماجدة بلاد الحرمين، وعاشت أعظم وحدة عرفها التأريخ المعاصر منذ أن أعاد بناءها، وجمع شتاتها، ووحد أجزاءها المؤسس الباني الملك الصالح المجاهد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -طيب الله ثراه، وجعل الجنة مأواه- ثم توالى أبناء المؤسس على قيادة هذا الوطن الغالي، حتى هذا العهد الميمون الذي قادنا فيه ولي أمرنا ومليكنا المفدى بمؤازرة ومعاونة عضده المكين وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير/ سلطان بن عبد العزيز، وسمو نائبه الثاني صاحب السمو الملكي الأمير/ نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية -أدام الله علينا نعمة ولايتهم، وحفظهم وزادهم عزًا وتمكينًا- إلى آفاق التطور والعالمية، وفرضت المملكة العربية السعودية نفسها على الواقع الدولي كرمز للسلام والوئام، والتقارب والتحاور، فهي قيادة راشدة، لا ترضى لشعبها إلا أعلى المراتب، ولا لدولة السلم والسلام والأمن والأمان إلا الصدارة، فالحمد لله على ما أنعم وأولى.

وثاني تلك المعاني: أن مثل هذه الذكرى فرصة لتجديد معاني البيعة، وتذكر النعم التي تتوالى على هذا الوطن المبارك، والبلد الآمن، فقد مرت بالبلاد حوادث جسام، وفتن عظيمة، عارض ألم بالمليك -أزال الله عنه البأس، وأدام عليه الصحة والعافية، وألبسه التقوى خير لباس-، ودعوات مضللة، واستهداف لأمن هذه البلاد، لتصمد هذه البلاد بقيادتها وشعبها، وتأتلف

وتجتمع على ثوابتها الشرعية والوطنية، وتتوحد على قيادتها الحكيمة، وإن هذه النعمة لمن أجل النعم، والتذكير بها، وتوجيه العقول إلى الاعتبار والادكار في زمن الفتن والمتغيرات والحوادث والتقلبات مهم، فما منّ الله به من الوحدة والتلاحم بين الراعي والرعية حتى تحصنت من دعوات الشر والفتنة والانقسامات والمظاهرات أمر يستحق الشكر، وهو دليل على خيرية وقوة وعزة الوطن الذي يتميز بها، ولذا يُذَكّر الله رسوله وخليله محمدًا e بنعمة الإلفة والوحدة فيقول: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال: ٦٣]، فالله هو الذي يعطي المحبة وينزعها، وهو الذي يجمع القلوب ويؤلفها، وهي لاشك لا تحصل إلا بعمل جليل، يعامل به المسلم ربه ويصدق مع الله، فيصدقه الله ويكتب الله له القبول في الأرض كما ورد في الحديث: «إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل، فقال إني أحب فلانًا فأحبه، قال فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال ثم يوضع له القبول في الأرض»، ومنبع الخيرية فيها أنها عائدة إلى الأصول والثوابت والرواسي، فمنطلق الرعية في تعاملهم مع ولاة أمرهم ومحبتهم لهم هو عبوديتهم لله عز وجل بهذا الأصل العظيم الذي هو وصية الرسول صلى الله عليه وسلم وصية المودع: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وان تأمر عليكم عبد»، وأمره e لمن سأله عن النجاة من دعاة الفتنة والخروج على الحكام بقوله: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، ومشاعرهم تجاه ولاة أمرهم هي عبودية أيضًا: «خيار أئمتكم من تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم»، «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي السلطان المقسط»، وولاة الأمر في المقابل يستشعرون عظم المسؤولية وثقل الأمانة، ويعيشون هموم الوطن والمواطنين، ويرون أن سعادة المواطن سعادة لهم في مشاعر متبادلة، فالشعب الوفي، وأبناء هذا الوطن يحسون بها، وولاة أمرنا وعلى رأسهم مليكنا المفدى يبادلهم الحب بمثله، والمشاعر بمثلها، من يجلس إليه ويسمع توجيهاته وكلماته يجد فيها الحميمية التي تربطه بهذا الشعب الوفي.

وإن هذه اللحمة المثالية التي تتجسد في أوقات المحن والفتن، ونتذكرها في هذه الذكرى العزيزة ليرى المتأمل فيها مقاصد شرعية، فالاجتماع والإلفة والمحبة والتوحد بين الراعي والرعية من أعظم المقاصد، وبها تستقر الأمور، وتحفظ هيبة الأمة، وتضيق الفرص على كل مريد للسوء باغ للفساد في الأرض، والفتنة والفرقة والخلاف، كما أن هذه اللحمة إنما تتحقق باتباع المنهج الشرعي الذي يوجب على الرعية السمع والطاعة والنصح والصدق، ويجعل كل ذلك عبوديات لله ينال بها المرء ثوابًا عظيمًا، وفي مقابل ذلك يوجب على الراعي حقوقًا يتحقق بها العدل والأمن والمساواة، وكلها متجسدة متحققة بحمد الله، بصورة تنغمر فيها ما يقع غير مقصود، فالحمد لله الذي وفق ولاة أمرنا وسددهم، ونسأل الله تعالى أن يديم هذه النعم عليهم.

وثالث تلك المعاني: أن نتذكر تفاصيل المنجزات، وما تحقق في هذه الحقبة الممتدة بإذن الله من خيرات وبركات، وما أغدق الله وأفاء ووفق إليه خادم الحرمين الشريفين من أوامر ملكية سامية تؤكد ثوابت البلاد، وتحفظ هيبتها، وتثمر رخاءً ونعمًا لا تعد ولا تحصى، يَنْعم بها من شرفه الله بالانتساب إلى هذه البلاد المعطاء، بل وحتى المقيم فيها، فما أجلها من نعم في وقت نرى من حولنا يتخطفون، ويفقدون أعز المطالب، فالحمد لله على آلائه، ونسأل الله الذي أفاء بهذه الآلاء أن يحفظها من الزوال، ويحميها من دعاة السوء والفتنة، ونسأل الله أن يكتب التوفيق والسداد لإمامنا وولي أمرنا وقائدنا خادم الحرمين الشريفين، وأن يحفظ ولي عهده الأمين وعضده المتين صاحب السمو الملكي الأمير/ سلطان بن عبدالعزيز، وسمو النائب الثاني الأمير/ نايف بن عبد العزيز، نسأله سبحانه أن يمتعهم بالصحة والعافية، ويديم عليهم توفيقه وتسديده، إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مستشار معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية